بسم الله الرحمن الرحيم

(توحيد الرب المعبود) (٣)

يشمل توحيد المخلوق ربه ومعبوده أمرين عظيمين هما جماع دينه وإيمانه واعتقاده تجلى هذا الآية العظيمة الجامعة من سورة الفاتحة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك؛ العبادة من المخلوق لخالقه وحده لا شريك له، والإعانة ونحوها من الخالق لمن يشاء من عباده.

الأمر الأول:

إقرار العبد - اعتقاداً وقولاً وعملاً - أن الله تعالى واحد في أسمائه (وأخص: الله والرحمن)، وصفاته (وأخص: الحي والميت) وأفعاله (وأخص: الخلق والبعث والجزاء الأخروي وما سماه بعض المتأخرين: الحاكمية في أمور الدين).

قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾، وقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾: أثبت لنفسه صفتي السمع والبصر ونفى مماثلة مخلوقاته له سبحانه وبحمده، وقال تعالى: ﴿إله الخلق إلا الله﴾.

وهذا الأمر من أمور الإيمان والاعتقاد والتوحيد على عظمه لا يكفي العبد للدخول في الإسلام ولا الثبات عليه فقد قال الله عن المشركين: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾، أقروا اعتقاداً وقولاً ولم يقروا عملاً. بل أقر إبليس اعتقاداً وقولاً فلم يقربه من رحمة الله: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾، ﴿خلقتني من نار وخلقته

منه طيبة﴾، ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

الأمر الثاني:

إقرار العبد - اعتقاداً وقولاً وعملاً - أن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة؛ فلا يركع ولا يسجد ولا ينذر ولا يذبح إلا له، ولا يدعو ولا يعظم ولا يستغيث ولا يحلف إلا به، ولا يطلب المدد إلا منه، ولا يلجأ إلا إليه؛ هو الغني سبحانه وغيره مفتقر إليه ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾ أي المشركين، كما قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

ولهذا الأمر، لهو الجد الفاصل بين الهدى والضلال، وبين الإسلام والكفر، وبين عبادة الله وحده ودعاء الأولياء معه.

ولهذا الأمر، لهو سبب خلق الإنس والجن وسبب إرسال الرسل وإنزال الكتب؛ قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

ولهذا الأمر، لهو معنى: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله، كما قال نوح ومن بعده من الرسل صلوات وسلام عليهم لأقوامهم: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي: بلا إله إلا الله. صلى الله وسلم على محمد وآله